

# القرآن أئوئأ مصن لئأاية اللأغة العربية

بقلم الأستاذ عبد الرزاق البصير (الكويت)

ولقد اجمع الباحثون على أن القرآن الكريم كان ولا يزال من أهم الحصون التي حمت اللغة العربية من الضياع ، ولا سيما في العهود المظلمة التي أصبح فيها التدريس بغير اللغة العربية ، والتفكير العربي مشلولاً أو كالشلول ، فلولا كتاب الله العزيز لضاعت اللغة العربية في عالم النسيان .

ومما لا شك فيه أن الإسلام قد خلق علومًا كثيرة منها ما يتعلق باللغة نفسها ومنها ما يتعلق بالدين كعلم النحو والصرف والبيان والمعاني والبدع وعلم التفسير وعلم الفقه وعلم الأصول وعلم الحديث إلى غير ذلك من العلوم الإسلامية الكثيرة ، ومن المعروف أن كل علم له اصطلاحاته الخاصة بمعنى أنه يأخذ الالفاظ اللغوية ويطلقها على اصطلاح بعينه مما يزيد معاني اللغة فيجعلها واسعة عميقة ، من ذلك مثلاً لفظة المجاز والاستعارة والمصدر والاستنباط والزكاة والصوم والصلاة وغير ذلك كثير . فإن هذه الكلمات كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ولكن مدلولاتها زادت بعد الإسلام .

على أن تفصيل ما ذكرت يحتاج إلى سفر من الاسفار . أن قوة اللغة العربية وانتشارها بسبب ظهور الإسلام وانتشاره متلازمان بصورة أكيدة . ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن لغتنا العربية لا يمكن أن تتحمل كل هذا التوسع والاستيعاب لكل ما طرأ على حياة الأمة العربية من تطور وتقدم في جميع مجالات الحياة لا يمكن أن تتحمل هذا كله لولا اصالتها وقابليتها العجيبة مما ادعاه المنصفين من العلماء الأجانب الذين تعمقوا في دراسة لغة القرآن .

مما تقدم يتضح أني من الذين يقولون بوجود علاقة سببية بين الإسلام واللغة العربية وأنه لولا الإسلام لما أتت لغة العربية أن تنتشر في العالم .

أن اللغة العربية كانت محصورة أو كالمحصورة في شبه الجزيرة العربية . وإذا تجاوزتها إلى العراق أو الشام فإن هذا التجاوز ضعيف لا يكاد يؤثر في تلك البلاد . كان هذا الحال قبل سطوع نور الإسلام فلما قدر الله لهذه الأمة أن تجتمع قوتها ويلتئم شتاتها وتفتح منافذ الفكر لها وينبسط سلطانها على جميع البلاد التي انتشر فيها الإسلام ، أصبحت لغة هذه الأمة منتشرة بين الشعوب الإسلامية . وشتان بين أن يتحدث عشرة ملايين مثلاً بلغة من اللغات وبين أن يتحدث بها أكثر من مئة مليون . أقول شتان بين الحالتين فإن اللغة تكتسب قوة وتطوراً حينما يكثر المتحدثون بها ولا سيما إذا ما كانت تلك الشعوب مختلفة الاجناس لها حضارات ومدنيات قديمة عريقة .

وهذا ما حدث للغة العربية بعد انتشار الإسلام إذ أنها كانت قبل ظهوره لغة سكان شبه الجزيرة العربية المنتشرة في مشارف الشام والعراق . أما بعد انتشار الإسلام فإنها أصبحت لغة كثير من الشعوب الإسلامية وذلك بفضل الدين الحنيف وبفضل نزول القرآن الكريم . فإن لهذا الكتاب العزيز في قلوب المسلمين مكانة جلية لا تعادلها مكانة إذ أنه يتلى صباح مساء . سواء كان ذلك في اوقات الصلاة أو في غيرها .

ولسنا في حاجة إلى أن نشير إلى أن الذكر الحكيم يتضمن كل ما جاءت به الشريعة السمحة من تطور وتجديد في العقول والافكار مما احدث في العرب بصورة خاصة وفي المسلمين بصورة عامة تغييراً شاملاً في كل مجال من مجالات الحياة بما فيها اللغة العربية . فقد زاد في مدلولات كثير من الفاظها الامر الذي زادها قوة على قوتها وعمقا على عمقها .

**ومصر والسودان** فانمحت بعض اللغات المحلية ، وضمر بعض آخر منها . كما كان **للحروف العربية هيمنتها على جميع تلك اللغات** الى زمن قريب اما الآن فان النتيجة نفسها تبدو بصورة اضعف بسبب التغيرات القومية التي اذكيت ناراها ، حيث نجد مئات بل آلاف الالفاظ العربية الشرعية منبثة في تضاعيف تلك اللغات مع بعض التراكيب او القطع القصيرة التي هي من قبيل الادعية والاذكار ، مع **تطلع دائم الى التعريب الفردي** او الجماعي لتلك الشعوب الاسلامية في آسيا وافريقيا .

ومثل ذلك الاثر نجده في اللهجات الاقليمية فانها مهما كان لها من فشو ورواج فهي تقصر عن ساحة العلم **فالدروس الدينية - حتى للعامة - والخطب والمواعظ كل ذلك بفضل القرآن لا يزال باللغة الفصحى النقية** ، ولاجل ذلك يشعر كل فرد ان من متممات الدين تقوية نفسه في العربية ومضاعفة علمه بها .

وفي هذا المجال لا بد من المقارنة بالفكر الديني - غير الاسلامي - لبعض العرب الذين ما زالوا يدينون بالمسيحية ، فهم قد انساقوا نهائيا مع لغاتهم المحلية ولهجاتهم الاقليمية ، بل ان كتابهم الديني رغم انه لا يؤثر لغة على لغة ولذا تناولته التراجم المختلفة - كان حظهم من العربية ضئيلا جدا ، وكانت ترجمته العربية في غاية الركاكة بل هي اشبه بالعامية او الاجنبية المترجمة ترجمة حرفية مما سوغ للدكتور البارغ مصطفى صادق الرافعي ان يدعو لغة الانجيل بالجملة الانجيلية ، واثبت بالوقائع انه كان هناك تعمد في ذلك تحاشيا من الجملة القرآنية التي هي في الذروة من الفصاحة والبيان ، فضلا عن ذلك فان معظم الدعوات الى العامية حمل رايتها من لم يحمل قط الفكر الاسلامي ملة او تعلقا . ويتبين ذلك من الكتاب النفيس ( تاريخ الدعوة الى العامية ) للدكتور نفوسة سعيد ومن كتاب ( اباطيل واسمار ) للاستاذ محمود احمد شاکر .

**فالفكر الاسلامي بفضل القرآن عاصم من قواصم الفارات المختلفة على لغة الضاد من المستعمرين والمبشرين والمستغربين .**

(4) - من الواقع المؤلم ان يكون للهجة الاقليمية هنا تأثير في التعابير العربية المحلية ، وهذا امر لا تنفرد به الكويت بل قد لف العالم العربي كله . واذا اخذنا بالتقسيم الخماسي للهجات الاقليمية الى (حجازية - سورية - عراقية - ومصرية -

ومغربية ) فان اللهجة الاقليمية في الكويت مزيج من ( الحجازية والعراقية ) بسبب الجوار المشترك .

وهذه اللهجة فيها عوامل قرب من الفصحى بل يقال فيها احيانا في الالفاظ او التراكيب ، كما ان فيها عوامل رداءة في العربية وحياة بعض الاساليب المهجورة او المايب اللفظية (كابدال الجيم ياء ، وحذف بعض الحروف من وسط الكلمة او ادغامها ، وتحريف ضبط بعض الالفاظ ) وكذلك فيها عوامل اجنبية محض ، حيث قد تسربت كثير من الكلمات (الانكليزية) وتقلبت على الالسنة كأنها عربية حتى ان بعضها اخذه التصريف والاشتقاق مع كمية وافرة من اسماء الادوات في السيارة وغيرها من الاجهزة الحديثة .

وفضلا عن ذلك فان هناك قسطا من لغة الاذاعة والتلفاز - على قلة - والمسرح - على كثرة - لا يزال باللهجة العامية الكويتية ، وهذا كله خطر مائل على الفصحى ، ولذا ينبغي تحامي الكلمات الاجنبية باحياء الكلمات المغنية عنها ، ولو على سبيل المجاز او الاشتراك او التسمح في تحديد الماهيات ، وبأسلوب التعريب الذي نهجه الاقدمون ومكنوا به اللغة من هضم عدد من الكلمات وتمثلها حتى غدت جزءا من العربية . اما بالنسبة للهجات المحلية فينبغي تحاشيها نهائيا في مجالات الثقافة الخاصة او الشعبية ، ويجب تحديد تداولها في السوق فقط الى حين ، ولذلك استحسن الدكتور محمد محمد حسين تسمية تلك اللهجات باللهجة السوقية ولا ينبغي ان تجاوز السوق الى لغة الثقافة الشعبية في الاذاعة ونحوها ولا يسوغ ان يبقى لها حظ في الادب الا ما كان من قبيل الامثال الشعبية مع الاستثناء عماله نظير فصيح لانه يحوز صفة العموم والتداول الواسع لكل من يمت الى العربية بسبب .

(5) - ان المكانة التي يجب ان تحتلها العربية هنا بالنسبة للغات الاجنبية هي مكانة الصدارة والاغلبية وهذا ما تصبو اليه الامال بالاهتمام بالعربية في التعليم واشتراط درجات لها اكثر من غيرها من المواد **والواقع ان اللغة الانكليزية - بوصفها اللغة الاجنبية هنا - لها حظ وافر من الاهمية يخشى منه اذا لم يضاعف الاهتمام بالعربية ، ولذلك يجب ان تكون للعربية منزلة خاصة لاتساميها فيها لغة اخرى مهما كانت الحاجة اليها ماسة في البعثات او المصطلحات العلمية، وينبغي ان ينشط التعريب للفظه والاسلوب ، والاميل معقود على مكتب تنسيق التعريب الدائم التابع للجامعة العربية ان يحقق تلك الاماني ، وفق الله القائمين عليه الى ما فيه خير العروبة والاسلام .**